Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(1) ; January 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
12.12.2018	25.12.2018	1.1.2019

العيون العمومية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني من خلال الكتابات التأسيسية

Public fountains during the Ottoman period according the commemorative inscriptions

الدكتورة جدي صليحة

أستاذة بحث بالمركز الوطني للبحث في علم الآثار، الجزائر.

Dr Djeddi Saliha

National research Center of archaeology, Algiers.

ملخص

لعبت العيون العمومية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني دورا أساسيا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما أنها كانت من المرافق العامة الأكثر طلبا، لذلك تسابق الحكام في إنشاءها طمعا في نيل الثواب والمزيد من الدعاء والعرفان من طرف الأهالي. كما جاءت من حيث شكلها تشبه عيون الششم (çeşme) بإسطنبول و التي تعود لنفس الفترة، وهذا راجع لتأثرها بالأساليب المعمارية العثمانية.

أما المواضيع التي خلدتها الكتابات التأسيسية لهذه المنشآت المائية فهي عديدة والغرض منها تخليد تأسيس المنشأة المائية أو تجديدها ومنها تزيينها ببعض الآيات القرآنية والأدعية ومنها ما يجمع بين الغرض الزخرفي و التذكاري.

والسؤال الذي سوف نحاول الإجابة عليه من خلال هذا العمل: ما مدى مساهمة الكتابات التأسيسية في إبراز مميزات المنشآت المائية العمومية كعنصر تراثي مهم نظرا لأثرها الكبير في المجتمع وما كان لها من أهمية في تخطيط المدينة و محاولة الكشف عن الفترة التي ترجع إليها.

الكلمات المفتاحية: مدينة الجزائر، العيون العمومية، العهد العثماني، الكتابات التأسيسية.

Abstract

During the Ottoman period, public fountains have played a vital role in the city of Algiers in social, economic and politic life.

Being one of the most requested monuments, sovereigns compete with each other to build them in the hope of winning the gratitude and prayers of the people. These

buildings resemble in form the fountains of Istanbul called “çeşme” and built at the same time, due the influence of Ottoman architecture.

The commemorative inscriptions of these fountains cover various subjects that they were intended to commemorate the construction or the reconstruction of a water structure, they were also decorated with koranic verses and prayers so as the fulfilled the function of decoration and commemoration of edifying.

Through our research we expect to answer the next question:

What is the contribution of commemorative inscriptions in the development of water works as essential element of heritage, and its important role in society and in the realization of layout of the city?

Key words: city of Algiers, Public fountains, Ottoman period, commemorative inscriptions.

مدخل

في مجال عمران المدن الإسلامية، حددت الأسس التي يجب أن يراعيها الحاكم عند إنشاء أية مدينة. ومن هذا الأساس ما ذكره ابن الربيع في مؤلفه "سلوك المالك في تدبير المسالك " فنجده قد جعل الماء في المرتبة الأولى بقوله " أن يسوق إليها الماء العذب للشرب، حتى يسهل تناوله من غير عسف".

يتضح من نص إبن الربيع أنه يشترط على الحاكم لعمارة المدينة أن يجلب إليها الماء، وهذا ما حدث في معظم المدن الإسلامية. و مدينة الجزائر خلال العهد العثماني لم تخرج عن هذا القانون، حيث أحيطت بأسوار وبطاريات، كما دعمت بأبراج لضمان أمنها. ولم يهمل الحكام تزويدها بالمياه، بل كانت من أهم انشغالاتهم عند تخطيطها.

وقد احتلت مدينة الجزائر هذه المكانة لموقعها الاستراتيجي، كونها مدينة بحرية واقعة عند المنافذ الجبلية ومحصنة طبيعيا، أهلها ذلك لتصبح عاصمة سياسية. ومدينة بحجمها عاصمة للدولة ودار السلطان تستهلك كميات معتبرة من المياه لسد حاجيات السكان من هذا السائل.

عرفت المدينة خلال الحكم العثماني توسعا عمرانيا، حيث استكملت صورتها العمرانية في القرن 10هـ/16م استنادا إلى وصف الحسن الوزان الذي زارها عام 921هـ/1515م حيث يقول:” مدينة الجزائر كبيرة جدا تضم نحو أربعة آلاف كانون أسوارها رائعة ومتينة جدا مبنية بالحجر الضخم، فيها دور جميلة وأسواق منسقة كما يجب لكل حرفة مكانها الخاص وفيها عدد كبير من الفنادق والحمامات...

ويحيط بالجزائر عدد من البساتين والأراضي المغروسة بأشجار الفواكه ويمر قرب المدينة من الجهة الشرقية نهر نصبت عليه طاحونات ويزود السكان بالماء للشرب ولأغراض أخرى"(**الوزان**، حسن، 1983، ص37). وحسب رأينا عند قوله نهر يمر قرب المدينة من الجهة الشرقية فإنه يقصد وادي كنيس، وهذا ما يؤكده فديريكو كريستي(Cresti, Federico, 2011, p371).

1- الإطار الجغرافي و الهيدروغرافي لمدينة الجزائر

تقع مدينة الجزائر على خط عرض 36.46° شمالاً، وخط طول 3.3 ° إلى الشرق من خط غرينتش(**حليمي**، عبد القادر، 1972، ص 33) ، وتتميز بموقعها البري والبحري الممتاز، حيث تقع على حافة السفوح الشمالية الشرقية لجبل بوزريعة المطل على البحر الأبيض المتوسط، يمتد خليجها من رأس الريس حميدو إلى رأس تمنتفوست في شكل قوس طوله 31كم (خريطة 1). تشرف على البحر الأبيض المتوسط وقد أطلق اسمها على البلاد. أصبحت عاصمة منذ أوائل القرن السادس عشر ميلادي، أي منذ دخول العثمانيين الذين أطلقوا عليها" جزائر الغرب"، أو الجزائر المحروسة أو الجزائر المحمية(Venture de paradis, 1983, 107).

يمتاز موقع المدينة بتضاريس وعرة و شديدة الانحدارات، تتنوع بين التلال والهضاب تقطعها عدة أودية وشعاب، ونظرا لصعوبة تضاريسها فغالبا ما كان يرتكز السكان في المنطقة الساحلية(حليمي، ص 33). بنيت مدينة الجزائر على سفوح جبال الساحل وشيدت القصبة على أحد التلال المطلة على الطرف الغربي لخليج مدينة الجزائر، وذلك على ارتفاع يقدر بحوالي 150 متر.

ساعد الوضع الطبوغرافي المميز للمدينة على تشكل العديد من الأودية وظهور العديد من العيون الطبيعية خاصة بفحص المدينة والتي كانت تتميز بغزارة وانتظام منسوب مياهها التي تزودها الجيوب المائية ذات المستويات المختلفة للطبقات الرسوبية(سعيدوني، ناصر الدين 1995، ص 62). كما أظهرت الدراسات

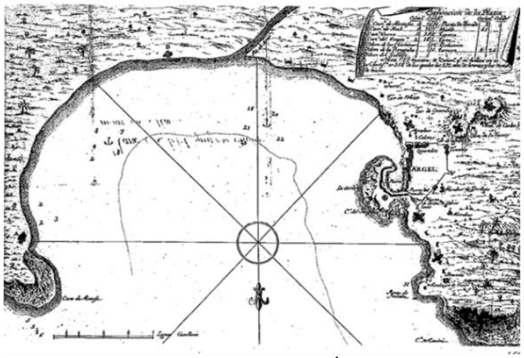

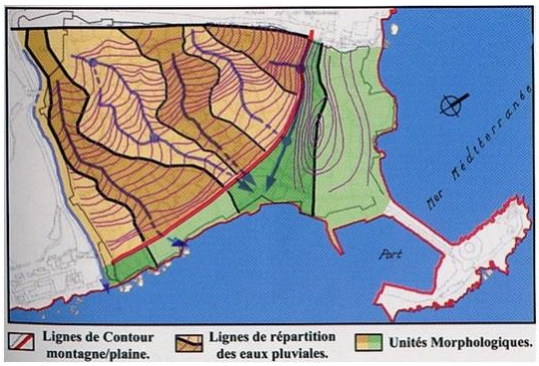

الهيدروجيولوجية[1] لمدينة الجزائر، وجود مياه جوفية باطنية في مدينة الجزائر و ضواحيها، وهي متمركزة في الطبقات السفلي، خاصة في الشقوق الصخرية، يظهر هذا في انبثاق الماء على شكل ينابيع طبيعية أو مياه جوفية (حالة الآبار في القصبة).

خريطة 1: خليج مدينة الجزائر (عن De Epalza) **خريطة 2: توزيع الشبكة الهيدروغرافية حسب الطبيعة المرفولوجية للقصبة (عن PPSMVSS)**

2- المنشآت المائية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني:

يعتبر النسيج العمراني لمدينة الجزائر بكل أنماطه، لاسيما تلك التي تخص المنشآت المائية، نموذجا تراثيا متميزا يمكن الاعتماد عليه لملامسة مخلفات العمران البشري الذي حصلته المدينة عبر الزمن، شكل فيه الماء حافز بناء ومظهر استقرار ورخاء. وإذا كان العهد العثماني فترة زمنية شكلت فيها المدينة شخصيتها التي تنطبع بها إلى اليوم، فإن حظ العمارة المائية غزير في هذا التراث الأثري.

تدل المنشآت المائية خلال العهد العثماني على عبقرية هندسية واضحة، تظهر من خلال النظر إلى شكل و مادة و تقنيات بنائها، التي تناسب التضاريس الصعبة و المكان الذي تم اختياره لبناء و تشييد مدينة

[1] كلمة الهيدروجيولوجية تصف قدرة طبقة المياه الجوفية على اختزان ونقل وتصريف المياه الجوفية، فقد ورد في مصطلحات العلوم المائية ، أن مستودع المياه الجوفية المحصور هو مستودع مكسو من أعلاه ومن أسفله ببنية منيعة أو شبه منيعة ، تحفظ فيها المياه تحت ضغط. و الهيدروجيولوجيا (hydrogéologie) هي علم المياه الجوفية.

الجزائر. هذا يدل على فهم عميق لمعالم سطح الأرض وتكويناتها الجيولوجية. فبالرغم من هذه التضاريس الوعرة والمنحدرات الشديدة التي يتميز بها موقع المدينة، فقد استطاعت عبقرية الجزائري في تلك الفترة التأقلم معها واستغلالها لصالحه، و استطاع ترويضها بتشييد المنشآت المناسبة لتلك التضاريس كالسواقي وقنوات نقل المياه و ذلك بهدف توفير الاحتياجات الأساسية والحيوية في الحياة اليومية للسكان. ومن هنا يمكن القول أنها لعبت دورا لا يستهان به في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية للمجتمع الجزائري خلال تلك الفترة.

كان السكان قبل التواجد العثماني بمدينة الجزائر يعتمدون على مياه الآبار والعيون الطبيعية. وبداية من القرن السادس عشر ميلادي ونظرا للتزايد المستمر للسكان، عملوا على إقامة منشآت مائية ضخمة لتموين المدينة بالمياه الصالحة للشرب وذلك بعد البحث عن أماكن تمركز المياه. فقاموا بتهيئة عدة ينابيع (عيون طبيعية) وأوصلوها بشبكة من السواقي، بني بعضها فوق قناطر محمولة على عقود والبعض الآخر اتخذت لها أنفاق تحت الأرض قصد نقل المياه من الأودية و الينابيع، تفرعت عبر أنحاء المدينة عن طريق قنوات التوزيع.

وقد كانت شبكة السواقي المنتشرة في أرجاء الفحص تتألف من سواقي رئيسية كانت تزود المدينة بالمياه الصالحة للشرب وعددها أربعة وهي ساقية تيليملي و ساقية بئر طرارية و ساقية الحامة و ساقية عين الزبوجة(Klein, H, 1912, p56)، بالإضافة إلى عدة سواقي خاصة بالري في فحص المدينة.

كما لجأ السكان إلى حفر الآبار لاستغلال المياه الجوفية، ويعتبر الإدريسي أول من لاحظ وجود آبار في مدينة الجزائر حيث يشير إلى أن السكان كانوا يلجؤون لحفر الآبار من أجل استغلال المياه الباطنية(Lespès; 1930, p 175).

كما عرفت المدينة نشاطات في شتى الميادين تستهلك كميات ضخمة من الماء مثل الدباغة والبناء وصناعة الفخار. هذا بالإضافة إلى المؤسسات الدينية و الثقافية والعسكرية كالمساجد والزوايا والحمامات والثكنات والسجون والأسواق التي تستهلك كميات كبيرة من المياه.

فلا يخلو حي من أحياء المدينة من حمام أو أكثر "حيث يغتسل الأهالي في كل وقت كما جرت العادة عند المسلمين " وقد ذكر شاو (Shaw) وجود اثنى عشر حماما عاديا" 12" واثنان وستون "62" حماما بخاريا ".

أما المساجد فقد أحصى هايدو مائة "100" مسجدا، من بينها الجامع الكبير والجامع الجديد وجامع كتشاوة وجامع سيدي رمضان وجامع السيدة. ولكل بناية أو منشأة مصادر للمياه تتزود منها.

3- العيون العمومية

3-1 تعريف العين:

العين لغة هي الينبوع الذي يخرج منه الماء ويجري فوق الأرض. أما في الاصطلاح الأثري المعماري فالعين منشأة معمارية خاصة بماء الشرب وذلك استنادا إلى الوثائق الأرشيفية الخاصة بالعقود و كذا الشواهد المادية التي تتمثل في الكتابات التأسيسية للعيون التي تشتمل على كلمتين الأولى بالعربية "عين" والثانية باللغة العثمانية ششم " çeşme ".

وعلى هذا الأساس اخترنا مصطلح العيون العمومية "Fontaines publiques " على هذا النوع من المنشآت المائية، وكذلك للتمييز بينها وبين العيون الطبيعية(الينابيع) والعيون الجدارية التي نجدها خاصة في القصور والمنازل الفاخرة. كما أننا لم نستعمل مصطلح الأسبلة المعروف خاصة في المشرق الإسلامي، لأن مصطلح سبيل لم يقتصر فقط على المنشأة المائية وإنما شمل العديد من المنشآت مثل مباني الكتاب التي كانت تسمى بكتاب السبيل بالرغم من عدم وجود سبيل ماء تحتها أو بجوارها .

و على ضوء ذلك يمكن القول أن كلمة عين مرتبطة بالعديد من المنشآت التى وقفت في سبيل الله تعالى، وذلك رغبة في التقرب إليه عز وجل وأملا بكسب الثواب والأجر، و من بين هذه المنشآت ما خصص لتوفير المياه يوميا وعلى مدار العام للإنسان والحيوان.

كانت العيون العمومية خلال القرون الخمسة الأولى بعد الهجرة تعرف بالسقاية، ثم انتشرت واشتهرت باسم الأسبلة منذ أواخر القرن 5هـ/11م، ولا سيما في سوريا ومصر والجزيرة العربية، أما أقطار المغرب الإسلامي فقد ساد وانتشر فيها مصطلح السقاية.

3-2 توزيع العيون العمومية داخل مدينة الجزائر: (خريطة 3)

توزعت العيون العمومية وانتشرت داخل المدينة وخارجها وبلغ عددها في القرن الثامن عشر ميلادي حسب الدكتور شاو (Shaw, Thomas, 1980, 274) حوالي 150 عينا. وحبست عليها عدّة أملاك

تصرف غلتها في صيانتها وترميمها، وقد تم رصد من خلال الوثائق عدة أوقاف خاصة بالدايات لصالحها.

هذا وقد تم توصيل العيون العمومية بشبكة معقدة بداية من السواقي الرئيسية ثم الصهاريج العامة وذلك عن طريق القنوات الفخارية.

يقوم النسيج المعماري للمدينة على نظام الأحياء(حومات)، و كل حي يأخذ مياهه من العين العمومية الأقرب منه، و العديد من الأحياء اتخذت أسماءها من أسماء تلك العيون مثل حومة زوج عيون، حومة بئر جباح، حومة بئر رومانة، ...الخ. كما يمكن القول أن لكل حي من الأحياء عين خاصة به أو أكثر.

كما نلاحظ أنه على مستوى كل مجموعة من المباني (مسجد، حمام، كوشة، سوق، أو قهوة) توجد عين، وبالتالي هناك علاقة وطيدة بين هذه المباني المختلفة والعيون العمومية، حيث تزودها بالمياه اللازمة.

فالعيون بصفة عامة كانت تبنى بالقرب من المساجد و الحمامات، والمياه التى تخصص للطهارة في المساجد والحمامات كانت تأتي إما من السواقي عبر قنوات فخارية أو عن طريق المياه المتجمعة في الصهاريج مثل مسجد الداي ومسجد الإنكشاريين بالقلعة.

تتمركز هذه المنشآت المائية في المدينة بين الأحياء و ملتقى الطرق، وقد انتصب عدد آخر منها خارج أسوار المدينة وتبرز أهميتها من خلال موقعها، فهي تشغل الطرق التي يسلكها المارة. و من خلال مواقعها يتضح أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنسيج العمراني والفضاء الاجتماعي والاقتصادي، فهي ليست مباني منفصلة أو مستقلة عن محيطها وإلحاقها وربطها بالنسيج العمراني كان من الأسس الثابتة في تخطيط مدينة الجزائر.

كما توزعت العيون العمومية في مختلف الأماكن التي يتمركز فيها السكان مثل زاوية الشارع و متاخمة للمساجد أو بالقرب منها و في الأسواق (مجاورة للدكاكين) و بالقرب من أبواب المدينة.

وفيما يلي خريطة توضح توزيع أهم العيون العمومية التي ما تزال قائمة بمدينة الجزائر بالإضافة الى مداخل السواقي الأربعة التي كانت تزودها بالمياه.(خريطة 3)

- **توزيع المياه في المساجد:**

زودت كل المساجد خلال العهد العثماني بالمنشآت المائية وألحقت بمعظمها عيون عمومية كجامع سيدي رمضان الذي يملك عينا خاصة به ومسجد علي بتشين، بالإضافة إلى مساجد أخرى مثل جامع سيدي

مُحَمَّد الشريف وجامع سيدي عبد الله. كما أن العديد من العيون العمومية كانت مرتبطة بالمساجد المهدمة أو المندثرة، نذكر من بينها عين جامع ميزو مورتو عند"باب عزون".

- **توزيع المياه في الحمامات:**

من المنشآت العامة التي لها صلة وطيدة بالمنشآت المائية وبالمياه عامة، الحمامات حيث تعتبر هذه الأخيرة من أهم المنشآت العمومية التي أقيمت في المدن الإسلامية وذلك نظرا لما أوجبه الإسلام على المسلمين من التطهر و الاغتسال والنظافة التي ترتبط بالصلوات الخمس، ونظرا لأهمية النظافة والطهارة فى حياة المسلمين فقد أصبح بناء الحمامات العامة في المدن الاسلامية لا يقل أهمية عن بناء وتشييد المساجد والأسواق والعيون العمومية . فالحمام من أهم المرافق العمومية التي اشتهرت بها الحضارة الإسلامية، وقد شكّل مع المسجد والسوق نسيجا عمرانيا متكاملا في المدينة الإسلامية ولضمان سير عمل الحمامات لا بد من توفر المياه على الدوام.

ومدينة الجزائر خلال العهد العثماني كغيرها من المدن الإسلامية، حيث نجد معظم حماماتها قريبة من الشوارع الرئيسية على طول قنوات توزيع المياه، فبالقصبة السفلى نجد حمام سيدنا، حمام مُحَمَّد باشا، حمام فويطا، حمام البوزة، حمام حمزة خوجه. وعلى طول شارع باب الجديد، تطور حي كامل يسمى بحي الحمامات الذي يشمل على عدد من الحمامات الصغيرة التي لها اتصال مباشر بقنوات توزيع المياه المتفرعة من ساقية تيليملي. أما الحمامات الأخرى في المدينة فتتزود بالمياه من االعيون القريبة منها مثل حمام سيدي عبد الله وحمام سيدي رمضان وحمام *سيدي* بوقدور(Sefadj, Nabila, 2008).

كما أن معظم العيون العمومية تحمل اسم هذه الحمامات أو العكس، وعلى سبيل المثال عين حمام المالح التي تأخذ اسمها من الحمام الذي يحمل نفس الاسم. وفي بعض الأحيان نجد حي كامل يحمل اسم العين مثل حي أو حومة العين المزوقة.

يذكر هايدو في أواخر القرن السادس عشر ميلادي أهمية و دور الحمامات في حياة الأهالي، كما قدر عددها بحوالي خمسون أو ستون (50 أو 60) حماما، و أهمها تنظيما و تهيئة ذكر حمام حسن الباشا

المعروف بحمام سيدنا[2] و هو أقدم حمام بالمدينة تم تشييده سنة 1550م و هو مشابه لحمام والده خير الدين بمدينة اسطنبول(Haedo, Fray Diego di, 1871).

- **توزيع المياه في الورشات الحرفية:**

إن تطور المدينة وزيادة السكان خلال العهد العثماني تطلب بالضرورة إنشاء عيون عمومية جديدة لضمان توفير المياه، وهي مندمجة كليا في النسيج العمراني فتوزيعها في الأحياء والشوارع يعطينا نظرة عامة عن الحالة الاقتصادية والسياسية السائدة آنذاك، كما أن إنشاءها مرتبط أساسا بالنشاط الاقتصادي والحرفي للمدينة.

فمن خلال الآثار المادية المكتشفة في حي الحرفيين بحفرية مترو الجزائر بالقصبة السفلى[3]، تمكنا من ربط العيون العمومية بالورشات الحرفية، إذ تم العثور على عين عمومية تعود إلى القرن الثامن عشر، مستندة على جدار إحدى الورشات الحرفية مزينة ببلاطات خزفية ذات زخارف متعددة الألوان.

[2] حمام سيدنا و المعروف بحمام الباي من أقدم الحمامات الجزايرية في العهد العثماني، تم تأسيسه في حولي القرن السادس عشر، يقع في الجزء الأسفل من المدينة حيث يتوسط عدة مباني إدارية ودينية وللحمام مدخلين مدخل عام ومدخل الفرناق، وقد تعرض الحمام إلى ترميمات عدة ولكن مجهولة التاريخ إلا أخرها والذي كان في عهد مصطفي باشا حسبما ذكره لوسور و وريلد واللذان أشاروا أن الداي مصطفي باشا هو من بنا الحمام والمؤكد فقط ترميم مصطفي باشا للحمام واستغلاله و بعض الدراسات تشير إلى أن الحمام مر بعدة ترميمات .

[3] تمّت الحفرية الوقائية بالقصبة السفلى في موقع ساحة الشهداء، وذلك بالاتفاق مع وزارة النقل الجزائرية والدعم الفني لمؤسسة مترو الجزائر. أنجزت هذه الحفرية من طرف فريق من الباحثين الجزائريين في علم الآثار التابعين للمركز الوطني للبحث في علم الآثار(CNRA) و فريق من الأثريين التابعين للمعهد الفرنسي للأبحاث الوقائية (INRAP).

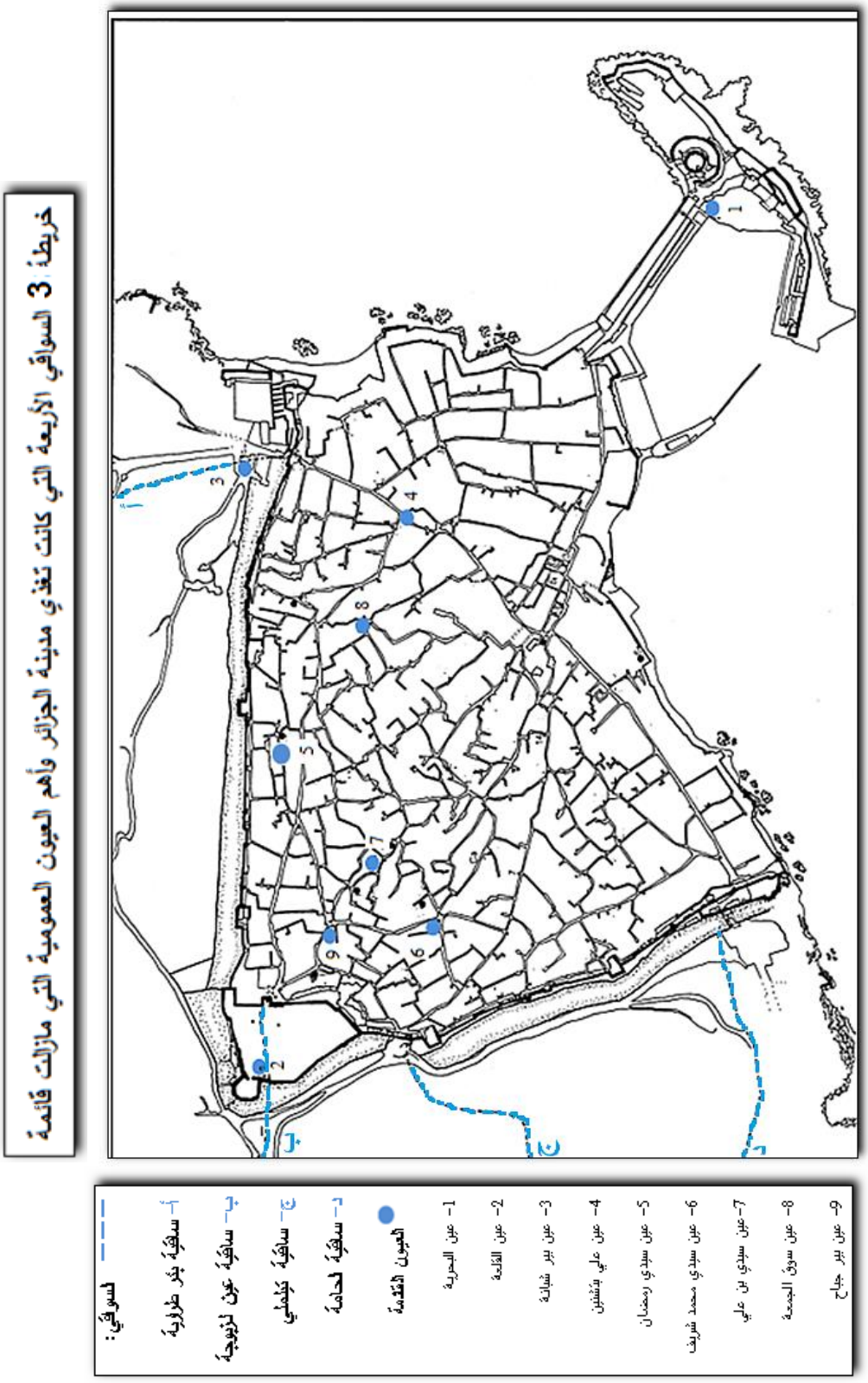
خريطة 3 السواقي الأربعة التي كانت تغذي مدينة الجزائر وأهم العيون العمومية التي مازالت قائمة
السواقي:
أ- سقية بئر طرابية
ب- سقية عين لزهوجة
ج- سقية كليلي
د- سقية لحامة
العيون القديمة
1- عين البحرية
2- عين القلعة
3- عين بير شبانة
4- عين علي بنشين
5- عين سيدي رمضان
6- عين سيدي محمد شريف
7- عين سيدي بن علي
8- عين سوق الجمعة
9- عين بير جباح

3-3 الكتابات التأسيسية للعيون العمومية:

تعد الكتابات الأثرية من أهم مصادر التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لأنها بمثابة وثائق أصلية ومعاصرة للأحداث التي سجلتها ويصعب التشكيك أو الطعن في معلوماتها لذا يمكن الاعتماد عليها في عملية التأريخ إضافة لما تحتويه من معلومات عن التواريخ و الأسماء والألقاب والوظائف والصيغ الدينية والعبارات الدعائية. كما تتجلى أهميتها فيما يتعلق بدراسة أسلوب الخط العربي والتعرف على مختلف أنواعه المستعملة في هذه النقوش، كما أن العديد من هذه الكتابات زينت بعناصر زخرفية نباتية وهندسية على جانب كبير من الأهمية في دراسة مراحل تطور الفن الإسلامي.

وعزوف الفنانين المسلمين عن استعمال الزخارف الآدمية أظهر عبقريتهم في الزخارف الكتابية والهندسية والنباتية، ولكن الهندسية والنباتية قامت على أساس ما عرفته الفنون القديمة في هذا المجال، في حين أنهم كانوا مبتكرين في العناصر الكتابية حتى أصبحت هذه الكتابات من بين مميزات الفنون الإسلامية عامة . فزينت بها العمائر وزخرفت بها معظم الفنون التطبيقية وأخذت دورا رئيسيا كعنصر زخرفي وتسجيلي منذ البداية على المباني الإسلامية، وساعدهم في ذلك أشكال ومرونة حروفها، والتي هيأت فرص تحسين وابتكار أشكال جديدة.

مرت هذه الكتابات بمراحل عديدة وتطورت خلالها كما أنه في كل فترة زمنية ساد نوع معين من الخطوط، فعلى سبيل المثال ساد الخط الكوفي بأنواعه حتى القرن الخامس الهجري ومن ثم خط النسخ واشتق منه خط الثلث. وخلال العهد العثماني أتقن الفنانون تقليد وتحسين الخطوط المعروفة، حيث أن أعمال خطاطيهم تعتبر كنماذج تم تقليدها في جميع البلدان الإسلامية.

وتعتبر الكتابات التأسيسية للعيون العمومية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني مصدرا أساسيا لتأريخ المنشأة المائية، كما تعكس قدرة الفنان على الخط والكتابة.

3-3-1 زخرفة الكتابات التأسيسية:

تعتبر الكتابة نفسها عنصرا زخرفيا مع ملء النقاش للفراغات بين السطور الكتابية ببعض الزخارف النباتية كالزهور والأوراق مما يكسبها مظهرا جماليا بديعا.

3-3-2 خط الكتابات التأسيسية:

سجلت الكتابات بخط الثلث المشتق من الخط النسخي، وهو يتميز بحروفه الطويلة وكلماته المتشابكة واحدة فوق الأخرى والمتداخلة فيما بينها. فمرونة هذا الخط وقابليته على التغيير والتشكيل لاءم السطح المحدود للوحة التأسيسية ذات المقاسات المعينة، ولم يمنع من إظهار جمالها وروعتها الفنية في كل أشكالها، هذا ما يفسر اختيار هذا الخط لكتابات العيون العمومية.

3-3-3 نص الكتابات التأسيسية:

أما الكتابات التأسيسية للعيون العمومية بمدينة الجزائر فقسمناها من حيث المضمون إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي:

أولا: كتابات أثرية تأسيسية تؤرخ البناء وتحدد تاريخه ونوعية البناء، وغالبا ما تحمل اسم المنشئ وألقابه ومحاسنه مثل الباشا أو السلطان مثل ما ورد على واجهة عين بولوغين حيث نجد لقب الباشا والوالي، كما أن هناك كتابات لم يذكر فيها اسم المنشئ كعين الحامة.

ثانيا: كتابات توضح وظيفة المبنى كمنشأة مائية خاصة بالشرب وإرواء العطشى وغالبا ما كانت من آيات قرآنية مثل "ومن الماء كل شيء حي" ، وقد وضعت هذه الآيات على العيون بحسب معناها الظاهر لا المعنى المقصود منها في القران الكريم، أي أن الكاتب اختار الآيات التي تعطي معنى الشرب بغض النظر عن وضعها ومعناها في الآية القرآنية. وفي بعض الأحيان كانت توجد أبيات من الشعر تصف الماء وأهميته للعطشى مثل "اشرب حتى تروى من عين الحياة" كما هو الحال في عين تيقصرين.

ثالثا: كتابات دعائية للمنشئ حيث تظهر رغبته في عمل الخير وطمعه في نيل الثواب والتقرب إلى الله مثل ما جاء في عين بئر خادم "ليقبل الله خيراته وليجزيه أجرها، النعيم والرضوان" وأيضا ما جاء في عين البحرية "ليرضى الله عنه وليكن في الفردوس العالية".

و من خلال اللوحات التأسيسية لهذه المنشآت، يمكن استخلاص أن أغلبها أنشئ خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (1748-1820/1819). ومختلف ألقاب الحكام المنقوشة على العين تجعل من كتاباتها أداة تاريخية لفترة حكم الدايات[4] التي تميزت بالاستقلال عن الباب العالي.

[4] استمرت فترة حكم الدايات من1671م إلى 1830 م.

اشتمل النص التأسيسي للعيون على كلمة عين أو جشمه وفي بعض الأحيان على الكلمتين معا مثل ما هو الحال في عين بئر خادم لإظهار نوع المنشأة. أما تاريخ التأسيس فجاء مكتوبا بالأرقام والحروف معا في معظم النقوش، كما جاء تاريخ التأسيس بحساب الجمل مثل الكتابة التأسيسية لعين زاوية القشاش وعين سيدي لكحل(بن بلة، خيرة، 1993).

جدول 1 : جرد الكتابات التأسيسية للعيون العمومية القائمة

إسم العين	سنة الإنشاء	الموقع	نص الكتابة التأسيسية	الترجمة
عين البحرية	1178هـ 1765-1764م	تقع بالجهة المقابلة لحوض المرسى، داخل قيادة القوات البحرية، أنشئت على جدار مبنى الإدارة العسكرية .	نظر ايدوب على باشا كماليله بوفناي **١١٧٨** -فكر ايدوب مالنده نجاتيله هم بنايي -اقيدوب بوحيوة ويرن عيونى هم صفايي -رجا ايدر دروننده خلوصله ثنايي - خدا راضى اولسون بى عدا اولسون فردوس اعلى بى	ينظر علي باشا برعاية لهذا الفناء ويفكر في ماله للنجاة، برفع هذا البناء أجرى هذه العيون التي تعطي الحياة والنقاء، ويرجو الثناء من أعماقه بإخلاص ليرضى الله عنه وليكن في الفردوس العالية 1178
عين الحامة	1173هـ/1759م	تقع على طريق بلوزداد، وهي تقابل حديقة التجارب بالحامة	- كمال قدر تيكه يس نهايت يوق سكايا هو -كه يرقازد كجه بيكار لر ظهور ايتدى بركديرصو -جرى ايتدى كرمكله هنيأ أهل ايمانه - قولو كادخي احسانك ايجور كوثر نيازي بو -صاحب الخيراتي خير ايله ابده نك علقبى خير اوله سنة**١١٧٣**.	يا إلهي لا يوجد أي نهاية لكمال قدرتك، من شدة حفر الأرض، ظهرت ينابيع في مكان الماء العكر، تجرى بفضل كرمك، هنيئا يا أهل الإيمان، اسق من ماء الكوثر الخام المتحمس بإحسانك، صاحب الخيرات بالخير (...) ولكن العاقبة خيرا سنة 1173
عين الزرقاء	1179هـ/ 1766-1765م	تقع على طريق محمد زكال تستند على جدار المركب الاولمبي محمد بوضياف بأول ماي.	- قلوب آثار ياشا بوحياتي مقامنده -ايدوب شفقت كردى جناح علينا مه مهما نندە -ايدوب كرم ويردي رغبت خيراتله احساننده - بولوب رفعت دائما اولسون حفظ امانندە -كلوب تاريخي هم بيك يوز بتمش طقوز سنة سنده	ترك علي باشا آثار الوجود في هذا المقام في إحسانه حمل بكرم رغباته لأعمال الخيرات لتعرف على العظمة باستمرار ويبقى تحت الرعاية الإلهية تاريخها تسعة وسبعون ومائة وألف

عين بئر مراد رايس	1208هـ/ 1793م	ملحقة بمبنى مكتبة البلدية	حبذا خير جزيل كيم توفيق ايدوب بارى خدا –والى دار الجهاد بوجشمه ئي ايتدى بنا –اشته بوعين الحياتدر تشنه دل سك اتى كدا –دور لدي سبوايج صويي حسن باشا يه ايله دعا سنة ١٢٠٨	حبذا من خير جزيل اذ وفق الله الباري والى دار الجهاد، فقد بنى هذه العين هكذا بهذه الكيفية فهي عين الحياة للعطشى ، فليكن الدعاء لحسن باشا فقد جعل هذه العين للعطشى سنة 1208.
عين بئر خادم	1212هـ/ 1797م	العين ملحقة بالمسجد الكبير الموجود في الساحة العمومية ببلدية بئر خادم	–اصف دهر حسن باشا كيم* كور ممش مثلنى اصلا دوران –صاحب جود وسخا عدل وعطا* فخر ايدر ذاتيله جمله جهان –ايتدى بوعينى عدمدن ايجاد* كه ايجه صوينى انس وهم جان –ايده خيراتنى الله مقبول * اجرينى ويره نعيم و رضوان –بيك ايكيوزده و هم اون ايكيده*فيلدى بو جشمة زبابي روان سنة ١٢١٢	اصف الدهر حسن باشا الذي لم ير الزمان مثله أصلا، صاحب الجود والسخاء والعدل والعطاء، تفتخر بذاته كل الدنيا، اوجد هذه العين من العدم بحيث يشرب ماءها الأنس والجان، فليقبل الله خيراته وليجزيه أجرها النعيم والرضوان ففي ألف ومائتين واثنتي عشر قام ببناء عين الماء العذبة هذه سنة 1212
عين تقصراين	1212هـ/ 1797م	تقع في حي تقصرين بالقرب من الساقية التي تحمل نفس الإسم	– اقيدوب بوجشمه ساري لطف ايدوب يدى سبيل – صاحب الخير حسن باشا أول معدن جود وسخا – وادئى عطا شدة كزمه كوردوكنه اول دليل سنة١٢١٢ –ايج قانتجه عين حياتدن قلدرال ايله دعا	بعد أن جعل هذا الينبوع يجرى،تلطف صاحب الخير حسن باشا معدن الجود والسخا بالأمر بسبيل، لا تظل في وادي العطش، إن هذا دليل للذي رآه، اشرب حتى تروى من عين الحياة ،ارفع يديك وادع سنة 1212.
عين بولوغين	1219هـ/ 1805-1804م	تقع بحي بولوغين تستند على جدار المقبرة المسيحية .	– قد أمر ببناء هذه العين من مائها الرائق ذو القوة –والعزم الصادق على سبيل الخيرات والحسنات –أحيا الله مقاصده في الدنيا والآخرة – الابر السيد مصطفى باشا والي جزاير سنة ١٢١٩	–

جدول 2 : جرد الكتابات التأسيسية للعيون العمومية المندثرة، المحفوظة في المتحف العمومي الوطني لآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر.

إسم العين	سنة الإنشاء	نص الكتابة التأسيسية	ترجمة النص	اللوحة التأسيسية
عين زاوية القشاش	1176هـ 1763-1762م	عون حقيله اقيدن بوابي بوله قطره سينه يوز بيك ثوابي دوشو بدر تاريخنه عقاد رضا اجلسون كندويه جنتك بابي	ليجد الذي جعل هذه العين تسيل بعون الحق مائة ألف ثوابا لكل قطرة منها وكتب لتاريخها عقاد رضا فلتفتح له باب الجنة.	 رقم الجرد:II.S.212.
عين القيصرية	1176هـ 1763-1762م	علي باشا نشان ايجون بوعينه فتى زياد اتدى ابني روانه سنة ستة وسبعون وماية والف	أضاف علي باشا إضافات على هذه العين للتذكرة سنة ستة وسبعون وألف	 رقم الجرد:II.S.211
عين سيدي لكحل	1174هـ 1761-1760م	بوجشمة نك بناسينه علي باشا ايدوب همت شكرلر كلدي تاريخي محل نعمت جميل جنت سنة اربعة وسبعين ومائة والف	لقد بذل علي باشا الهمة لبناء هذه العين وجاء الشكر الوفير تاريخها هو النعمة وجميل الجنة سنة أربعة وسبعين ومائة وألف	 رقم الجرد:II.S.210
عين باب السوق	1218هـ 1804-1803م	قد أمر ببناء هذه العين على سبيل الخيرات والحسنات الراجي عفو ربه الناجي عبده السيد قازد علي خزناجي سنة ١٢١٨		 رقم الجرد:II.S.200

عين الثكنة الإنكشارية القديمة	1174هـ 1760-1761م	١١٧٤ جا قدر العين من على باشا ربنا اجعل له سعيه مشكور واشرب من مايها واقرا التاريخ يطيب حياتا شراب طهور سنة اربعة وسبعين ومائة و الف		 رقم الجرد: II.S.190
عين حسين داي	1235هـ 1819-1820م	وجعلنا من الماء كل شيء حي وإلى سلطان جزائر اول حسين باشا نيتي خيره انك خيراتـه سعى دائما لطفي جار انك يدر صوهر بر مخلده كبي اب اجر ايليوب ابوجشمة ايتدى بناء بومحل تشنده عطشاني ريان ايلدي ايج حسن ايله حسينك عشقنه تاره ماء ١٢٣٥	أوصل والي الجزائر السلطان حسين باشا الماء إلى كل مكان بنيته الخيرية دائما. وسعيه الدؤوب للطف بجيرانه وأمره ببناء هذا السبيل ليرتوي منه العطشان. أشرب هنيئا بحب حسين داي سنة 1235 هـ (1819 – 1820) وجاءت هذه الكتابة تخليدا لعمل حسين داي الخيري في مرحلة عرفت فيها الجزائر استقرار سياسيا.	 رقم الجرد II.S.227

عين الربط	1208هـ 1793- 1794م	الصلا جشمة بوسار داي عطاش كل وسكر صدر شفقتدن قاننجه دورمه شيرما دنايج صاحب الخير حسن باشايه ايله دعابي كوثر ايج دور كيم بوعين الحيات استر وضوايت استرايج سنة ١٢٠٨	أنت الذي تشكو ظما لايروي، تعال ندعوك إلى العين الموجودة في هذا المكان واشرب هذا السائل العذب كالسكر، حتى تروى من عين الرحمة، لاتتوقف اشرب لبن هذه الموجه، وادع لصاحب الخير حسن باشا واشرب من ماء الكوثر، ابق لتتوضأ أو تشرب من عين الحياة هذه سنة 1208هـ.	 رقم الجرد: S.II.226

الخاتمة و الاستنتاج

توصل البحث إلى جملة من النتائج لعل من أهمها:

– مدينة الجزائر من المدن القليلة التي تجمع بها عدد كبير من العيون العمومية التي حظيت بعناية فائقة سواء من حيث اختيار الموقع أو إتقان البناء. كما جاءت من حيث شكلها تشبه عيون الششم(çeşme) بإسطنبول و التي تعود لنفس الفترة. وهذا راجع لتأثرها بالأساليب المعمارية العثمانية. أما فيما يخص عملية توصيل الماء إلى العيون العمومية وطريقة تخزينه، فوجودها في أماكن منخفضة بالنسبة لشبكة قنوات المياه التي تزودها، عامل ساهم في وصول الماء إلى العيون بقوة دفع كبيرة.

– مكنتنا الكتابات التأسيسية للعيون القائمة والكتابات المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر و التى تعود لعيون عمومية مهدمة، من تأريخ بناء تلك المنشآت وأسماء منشئيها و ألقابهم كما استطعنا من خلال البعض منها التعرف على وظائفهم، وبالتالي تحديد فترة إنشاءها وانتشارها وذلك بين سنتي(1162-1235)هـ/(1748-1820/1819)م، أي خلال فترة حكم الدايات.

– جاءت معظم النصوص التأسيسية باللغة التركية العثمانية مثل عين بئر خادم، عين بئر مراد رايس، عين البحرية، وبعضها جاء باللغة العربية مثل عين بولوغين، وكتابات أخرى نجدها باللغتين معا مثل عين القيصرية. و يمكن تفسير هذا الثراء اللغوي و المزج بين اللغتين في الكتابات التأسيسية للعيون العمومية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، بأن اللغة العربية لغة الدين الإسلامي و اللغة العثمانية لغة الحكام وبما أن العيون منشآت عمومية يمكن المزج بين اللغتين، عكس الكتابات التأسيسية للمنشآت الدينية، حيث استخدمت فيها اللغة العربية، لغة القرآن الكريم وهذا راجع لتمسكهم بالدين وإلى وظيفة المسجد حيث يجتمع المسلمون لتأدية فرائضهم الدينية باللغة العربية .

قائمة المصادر و المراجع

أولا: المصادر و المراجع باللغة العربية

- بن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد بن مُحَمَّد (توفي سنة 272 هـ) (1978)، **سلوك المالك في تدبير المسالك**، دراسة و تحقيق ناجي التكريتي ، ط 1، منشورات عويدات ، بيروت.
- الحسيني، حامد محمود، (1988)؛ **الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة 1517–1798م**، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- حليمي، عبد القادر،(1972)؛ **مدينة الجزائر منذ نشأتها وتطورها قبل 1830**، ط1، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر.
- ديفولكس ألبير،(2004)؛ **خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس**، تحقيق بن حموش مصطفى و بلقاضي بدر الدين، الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي.
- **ريمون**، أندري،(1991)، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1،القاهرة، 1991.
- المدني، توفيق احمد،(1974)؛ **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر**، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- الوزان، حسن بن مُحَمَّد الفاسي،(1983)؛ **وصف إفريقيا**، ترجمة: مُحَمَّد حاجي و مُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، مج1.

2: الدوريات:

- بلحميسي، مولاي، (1992)؛ "الجزائر العاصمة: مشكل المياه في العهد العثماني"، في مجلة **دراسات أثرية**، عدد 2، الجزائر.
- بن بلة، علي،(2013)؛ "نموذج لعيون فحص مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، **مجلة آثار**، العدد 10، ص ص 194-204.
- سعيدوني، ناصر الدين،(1995)؛" من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر، الشبكة المائية في العهد العثماني"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع 9، الجزائر.

3: الموسوعات و القواميس و الرسائل الجامعية:

- خورشيد، ابرهيم زكي ، (1998)، السبيل، دائرة المعارف، ج 18، مركز الشارقة للإبداع الفكري.
- رزق، عاصم مُحَمَّد، (2000)؛ معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي القاهرة.
- **بن بلة** خيرة،(1993)، **دراسة في النقوش الكتابية التذكارية على المباني بمدينة الجزائر في العهد العثماني**، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الإسكندرية.

ثانيا: المصادر و المراجع باللغة الأجنبية:

- Belhamissi, Moulay, (2004); **Histoire d'Alger par ses eaux (XVI^{ème} -XIX^{ème}) siècle**, ENAL, Alger.
- Boyer, Pierre, (1963) ; **La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française**, Hachette, Paris.
- Colin, Gabriel, (1901), **Corpus des inscriptions arabes et turques de l'Algérie**, Paris.
- Cresti, Federico, (1990); "Le système de l'eau à Alger pendant la période ottomane (XVIème-XIXème siècles)", in **Environmental Design, Algérie mémoire et architecture**, Rome.
- Cresti, Federico, (2011); "Histoire d'eaux : Alger à l'époque ottomane" , in **Ricerca, didattica e prassi urbanistica nelle città del Mediterraneo** Scritti in onore di Giuseppe, pp 366-383.
- **Dalloni**, Marius, (1928) ; "le problème de l'alimentation en eau potable de la ville d'Alger", in **Bulletin de société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord**, vol 29, F,Montegut, Alger.

- Haëdo**,** Don Diego De, (1871) ; " Topographie et histoire d'Alger", traduit de l'espagnol par MM. Le Dr Monnereau et A. Berbugger, dans **Revue Africaine**, Vol 15, pp 384-385.
- Klein, Henri, (1912) ; **"**Le vieil Alger et sa banlieue, in **Feuillets d'El-Djezair**, 3eme volume, imprimerie Orientale Fontana frères
- Léspes**,** René, (1930) ; **Alger, Etudes de géographie et d'histoire urbaine**, Paris.
- Max VAN Berchem,(1905)," Lépigraphie musulmane en Algérie : étude sur le corpus, **Revue Africaine**, vol.49.
- Mikel de Epalza, Juan Bta Vilar,(1988) ; **Planos y mapas hispanicos de Argelia, siglos XVI-XVIII**, Santiago Saavedra, El Viso.
- Missoum, Sakina(, 2003); **Alger à époque ottomane, la médina et la maison traditionnelle**, Inas, Alger.
- Murat, Henri, (1920); "La question des eaux à Alger", **l'Afrique du Nord illustrée**, 31 juillet.
- Pasquali**,** E, (1955) ; "L'alimentation en eau D'El- Djezair des romains au XIX° siècle**"**, in **revue d'Alger**, n°20.
- Sefadj, Nabila cherif,(2008) ; **Les bains d'Alger durant la période ottomane, (XVI è – XIX è siècles**), France.
- Shaw, Thomas, (1980) ; **Voyage dans la régence d'Alger,** traduit par I.M Carthy, 2e édition, Bouslama, Tunis.
- Venture de paradis, (1983) ; **Tunis et Alger au XVIIIe siècle**, sindbab.